الجماهير للانخراط في العمل الوطني من خلال الاطر الخاطئة القائمة حيث لا بديل.

في ظل هذه الظروف، تم تشكيل جيش الجهاد المقدس[٦٨] الذي بادرت الهيئة العربية العليا بقيادة الحاج أمين الحسيني إلى تأسيسه، أثر صدور قرار التقسيم[٦٩] وقد أسندت قيادته إلى المناضل عبد القادر الحسيني، الذي استشهد لاحقاً في معركة القسطل الشهيرة[٧٠]. فضلاً عن لجان وتشكيلات أخرى، لم تتميز عن تشكيله الحسيني سياسياً أو تنظيمياً.

إزاء ما تقدم، كان على الفلسطينيين أن يجابهوا وضعاً أكبر بكثير من قدرتهم على المقاومة. وباستثناء تسلحهم بالبطولات الفردية والاندفاع من أجل الخلاص الوطني، افتقر الفلسطينيون إلى حد كبير للمقومات الذاتية والموضوعية التي هي شرط الانتصار. فمحلياً، كانت الصراعات الداخلية قد نخرت في الجسم الوطني، خاصة الخلاف الحسيني ـ النشاشيبي، مما غيب أي إمكانية للتنسيق بين الفرقاء المتحمسين لهذا الطرف أو ذاك[٧١]. وعربياً، لم يتبين الفلسطينيون التناقض الكبير بين التصريحات الواعدة للساسة العرب، وبين مواقفهم الفعلية، إلا بعد فوات الأوان، حيث خبر الفلسطينيون بالتجربة الملموسة فساد الاسلحة والخيانة أو العجز، وفقدان المبادرة والركون إلى الوعود البريطانية والاميركية[٧٢]. وبالتالي خاضوا معركة وجودهم في العامين ١٩٤٧ و١٩٤٨، في ظل أقسى الشروط المحلية والعربية والدولية. وكانوا وحيدين في الميدان، تدعمهم بضع ألوف من المتطوعين العرب والمسلمين الذين جاء معظمهم للقتال في فلسطين ضمن إطار قرار جامعة الدول العربية بتشكيل جيش الانقاذ.

جيش الإنقاذ

لا تختلف التفسيرات كثيراً بشأن دافع الدول العربية لتشكيل جيش الانقاذ، وتشير دراسة حول هذا الجيش وظروف تأسيسه ومهمته في فلسطين[٧٣] إلى أن الظروف الناتجة عن تطورات القضية في العام ١٩٧٤ وأوائل العام ١٩٤٨، قادت الانظمة العربية للتدخل في فلسطين باتجاهين: أحدهما يتضمن تهيئة الجيوش العربية النظامية للتدخل في فلسطين فور انسحاب القوات البريطانية في الخامس عشر من أيار (مايو) والثاني يدعم وجهة النظر القائلة بضرورة تشكيل جيش من المتطوعين العرب وإعداده للتدريب والتعبئة اللازمين في معسكرات التدريب التي أعدت لهذا الغرض لاحقاً، في سوريا. وقد اختلفت مواقف الدول العربية ازاء التوجهات المطروحة. ففي حين ارتأى البعض إحالة القضية إلى أصحابها ليتحملوا المسؤولية الأساسية في الكفاح[٧٤]، مع دعم عربي لهم، سعى البعض الآخر من الدول العربية، بتوجيه بريطاني، إلى الغاء أي توجه يقود عملياً إلى تسليح الفلسطينيين[٧٥]، وذلك لما يعنيه تسليحهم من خطورة على السياسة البريطانية في المنطقة والرجعيات العربية الحاكمة المتحالفة معها. مما يمكنهم أي الفلسطينيون، من محاربة قيام الدولة اليهودية المقترحة. لهذا كله، جاء تشكيل جيش الانقاذ صيغة توفيقية تسعى إلى هدف مزدوج: تخدير الجماهير[٧٦] بفتح باب التطوع كمتنفس للمناضلين العرب المتحمسين للقتال، ومن جانب آخر لا تخرج هذه المبادرة عن وصاية دول الجامعة العربية بحيث تبقى هناك سيطرة للانظمة على هذا الاطار العسكري الذي اتخذ طابع جيش شعبي.